مدينة ماهشوبيكشو

محمود سالم

مدينة ماهشوبيكشو

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

مدينة ماهشوبيكشو

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٥٨٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
رحلة إلى مدينة غامضة!	١١
معًا في قطار واحد	١٧
اثنان في الليل	٢٣
داخل قلعة «ماهشوبيكشو»	٢٩
وفهم «باسم» معنى الطلقات!	٣٥
زعيم الإنكا ... يصل!	٣٩
ثم جاءت الطائرات	٤٥

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

رحلة إلى مدينة غامضة!

وصلت الشياطينَ برقيةٌ عاجلةٌ: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»، انتظروا رسالةً بعد نصف ساعة.»

وكان «أحمد» في حجرته عندما تلقَّى هذه الإشارة، وكان بقية الشياطين في مدينة «ليما» يشاهدون معالمها، بعد تلك الرحلة الطويلة الشاقة، وانتهاء مغامرتهم مع الرجل الخفي ... أخرج «أحمد» خريطةً لجمهورية «بيرو»، وفردها أمامه، ثم جرت أصابعه على جبالها حتى وقفت عند قمة جبال «الأنديز»، حيث تقع قمة «كوزكو» العالية.

طرق الباب بهدوء، وسمع «أحمد» أصوات الشياطين يتحدثون.

دخل «خالد» أولًا، ثم «هدى» و«باسم». قال «خالد»: لقد كانت رحلةً طيبةً في أرجاء «ليما».

قال «أحمد»: وصلت برقيةٌ من رقم «صفر»، الاجتماع بعد نصف ساعة لنتلقَّى منه رسالة، لعل لها علاقةً بالرجل الخفي، فهذه المغامرة لم تنتهِ بعد ... ولعل لهذه البرقية عَلاقةً ما توضح سرَّ اختفاء الرجال النابهين الذين لم نكشف سرَّهم بعد.

عاد الشياطين، والتفُّوا حول «أحمد» الذي ترك الخريطة، وبدأ يستعد لاستقبال الرسالة من رقم «صفر» والتي منها تبدأ المغامرة الجديدة ... ومن جهاز الاستقبال، ثم أُضيئت لمبةٌ حمراء، وكان هذا يعني: استعدُّوا، فقد بدأت الرسالة.

ركَّز الشياطين أعينهم على الكلمات التي بدأت تظهر، وكانت الرسالة: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» ... إنَّ مهمتكم الجديدة هي اكتشاف سر ذلك الذي يدور داخل تلك المدينة الأسطورية «ماهشوبيكشو».»

توقَّف الجهاز لحظةً، نظر الشياطين إلى بعضهم، وكانت أفكارهم تدور حول الرجل الخفي، وهل تكون له عَلاقةٌ بتلك المدينة؟

أُضيئت اللمبة الحمراء، ثم بدأت تكملة الرسالة: «إنَّ مدينة «ماهشوبيكشو» مثيرة حقًّا، وهي تقع في جبال «الأنديز»، حيث كانت توجد إمبراطورية الإنكا القديمة ... وقد عاشت هذه الإمبراطورية منعزلةً تمامًا عن العالم، ولم يكن يصل إلينا عبر هذا التاريخ الطويل — الذي يرجع إلى مئات السنين — سوى حكايات متناثرة عنها ... وجماعة الإنكا القديمة لم تكن لهم لغةٌ مكتوبة، وربما هذا ما جعل أخبارها تتضاءل، وآثارها تُصبح لُغزًا!»

توقفت الرسالة، فنظر الشياطين إلى بعضهم، وقال «خالد»: هل حدث شيء؟

أحمد: لا شيء ...

أضاءت اللمبة الحمراء، فتنفَّس «خالد» بعمق، ونظر إلى «أحمد» مبتسمًا، وجاءت بقية الرسالة: «إن المعلومات لدينا تقول: إن سكان «ماهشوبيكشو» لم يزد عددهم على ألف نسمة، وإن عدد بيوتها لم يزد على مائتين، وكان يعزِّز الحصونَ الداخلية للمدينة سورٌ خارجيٌّ، وآخرُ داخليٌّ وخندقٌ جاف، وتوحي هذه الحماية المتقنة بأن هذه المدينة كانت قاعدةً هامة للإمبراطورية.»

توقف الجهاز مرةً أخرى، لكن فترة توقُّفه لم تزد كثيرًا، فقد جاءت الرسالة بسرعة تقول: «انتظروا رسالةً أخرى!»

أطفئت اللمبة الحمراء، كانت حالة من الصمت تلف الشياطين.

قال «أحمد»: لعله الرجل الخفي فعلًا!

قالت «هدى»: بالتأكيد، هؤلاء الرجال النوابغ الذين اختفَوْا، لعلهم بقايا تلك الإمبراطورية المثيرة.

باسم: لكن، ماذا يريدون؟

أحمد: إننا حتى الآن لم نتأكد من شيء، وربما تكون بقية الرسالة هي المفتاح.

لم يطل انتظارهم طويلًا، فقد أُضيئت اللمبة الحمراء، وجاءت بقيةُ الرسالة: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»، إنَّ مهمتكم الجديدة المتعلقة بمدينة «ماهشوبيكشو» ترتبط بهؤلاء الرجال الذين كانوا يختفون من كل مكان في العالَم، لقد تجمَّعوا في المدينة، لكنْ لا أحدَ يدري لماذا، وهذه مهمتكم. إنكم لا تعرفون تفاصيل المدينة من الداخل. والمعلومات التي وصلتنا هي: «إن الطريق الرئيسي الذي يؤدِّي إلى المدينة، وطوله ستة كيلومترات ضيقٌ جدًّا، وبه انحناءة خطيرة، فهو يمرُّ من سطح جبال «الأنديز» حتى قمتها، حيث يقطع المدينة التي تقع عند قمة الجبل. وأنتم تستطيعون الركوب من مدينة «ليما»، وخلال

ساعتين تصلون إلى مشارف المدينة.»» صمت رقم «صفر» قليلًا، ثم قال: «الآن، يمكن أن تبدءوا عملكم. فإذا جاءتنا معلومات أخرى، فسوف نرسلها لكم، إلى اللقاء.»

عندما أُطفئت اللمبة الحمراء، قام «أحمد» إلى النافذة يُطِلُّ منها، ها هي المغامرة قد بدأت.

قالت «هدى»: ما رأيكم في كوب شاي؟

باسم: أعتقد أنه ضروريٌّ الآن.

خالد: نعم، نحن في حاجة إلى لحظة هدوء.

خرجت «هدى» لطلب الشاي، في نفس الوقت الذي استغرق فيه الشياطين في التفكير، وكان «أحمد» لا يزال يقف عند النافذة، يرقب حركة الشارع في هذه الساعة المبكرة من الليل، تقدَّم «خالد» إليه ثم قال: بدأت الحركة تهدأ.

نظر له «أحمد» مبتسمًا وقال: بل إنها بدأت في النشاط.

فهم «خالد» ماذا يعني «أحمد»، فابتسم قائلًا: إنني لا أقصد حركتنا، أقصد حركة الشارع!

ابتسم «أحمد» وقال: نحن في حاجة إلى اجتماع سريع ... ثم أخذ طريقه إلى مقعده، وجاءت «هدى» بالشاي فقدَّمته لهم، وقال «خالد»: أظن أننا في حاجة إلى الحركة إلى حيث المغامرة.

شرب الشياطين الشاي في هدوء، لم يكن أحد منهم ينطق بكلمة، ولم يكن يسمع سوى صوت رشفات الشاي ... عندما انتهَوْا من شرب الشاي، قال «أحمد»: ينبغي أن ننام مبكرًا؛ حتى نبدأ عملَنا في الصباح، إننا سوف نصل إلى مدينة مجهولة.

أخذ كلٌّ من الشياطين طريقه إلى حجرته، وعندما أطفأ «أحمد» نور الحجرة لينام، كان ضوء الشارع يُضفي على الحجرة إضاءةً خافتةً، جعلته يشرد قليلًا ... كان يُفكِّر في تلك المدينة الأسطورية، ثم تذكر كتاب «التاريخ القديم للعالم»، الذي رآه في يد الرجل الخفي ... فكَّر «أحمد»؛ لو أنه استطاع العثور على هذا الكتاب فإنه سوف يعرف الكثير عن هذه المدينة الغريبة وشعبها. وفي النهاية، كان سيعرف سرَّ هؤلاء الرجال.

كان النوم قد بدأ يتسلل إليه، تثاءب، ثم سحب الغطاء واستغرق في النوم.

كان الوقت مبكرًا تمامًا عندما استغرق الشياطين في النوم، لكنهم أيضًا وفي وقت مبكر تمامًا كانوا قد استيقظوا وفي نشاط ارتدَوْا ثيابهم، ثم التقوا في حجرة «أحمد» ... قال «باسم»: لقد نمت نومًا يكفيني لعشرة أيام.

قالت «هدى»: لقد نمت نومًا مضطربًا، ولا أدري لماذا!

ضحك الجميع، ثم نزلوا إلى المطعم حيث تناولوا إفطارهم ولم تمضِ نصف ساعة حتى كانوا يأخذون طريقهم إلى الخارج.

أخذ الشياطين طريقهم إلى محطة «ليما» حيث استقلُّوا القطار إلى مدينة «لاباز»، التي تقع في جبال «الأنديز» … كان الطريق طويلًا يصل إلى ٨٠٠ ميل، ورغم أن هناك خطوطًا للطيران، إلا أن الشياطين فضَّلوا القطار؛ لأنه يعطيهم فرصة رصد المنطقة التي سوف يتحركون داخلها، بجوار أنه يعطيهم فرصة للتفكير أكثر، وكانت عجلات القطار بصوتها الرتيب تُعطي فرصة لكل منهم أن يفكِّر في هدوء؛ ولذلك فإن الصمت خيَّم عليهم جميعًا في مقاعدهم المتقابلة، وكان أمامهم رجل يقرأ صحيفة الصباح، ولم يكن وجهه يظهر تمامًا، وعندما أنزل الصحيفة تلاقت أعين الشياطين، فقد كان الرجل طويل القامة بشكل لافت للنظر، أسمر اللون، يبدو شاردًا، أو حزينًا …

نظر الرجل إليهم، فقد لفتت حركة التقاء أعينهم نظره، وحاول الرجل أن يبتسم، ثم ترك مكانه وترك فيه الصحيفة أيضًا … انتظر الشياطين قليلًا حتى اختفى الرجل، كانت المقصورة التي يجلسون فيها تتسع لستة أشخاص، غير أنه لم يكن معهم آخر … وقف «باسم» يرقب الرجل الذي أخذ طريقه مبتعدًا عنهم حتى دخل مقصورته في نهاية عربة القطار … التفت «باسم» إلى الشياطين وقال: لقد دخل في آخر مقصورة.

قال «أحمد»: ألا ترون أنه تصرَّف بطريقة مكشوفة! «خالد»: أعتقد ذلك.

هدى: ينبغي أن نتبعه.

أحمد: إننا لا نعرف المحطة التي سوف ينزل فيها! فقد ينزل في غير محطته؛ حتى لا ينكشف.

باسم: ألا ترون أننا ذهبنا بعيدًا، إن الرجال في «بيرو» لهم هذه الملامح. لماذا لا يكون رجلًا عاديًّا؟

أحمد: لا أظن … إن تصرُّفَه قد يكون تأكيدًا على أنه واحد منهم!

صمت الشياطين قليلًا؛ كان كلٌّ منهم يُفكِّر في طريقة. في النهاية قالت «هدى»: أعتقد أنه ينبغي أن يراقبه أحدنا …

أخرج «أحمد» خريطةً من جيبه ثم بسطها أمام الشياطين، وكانت الخريطة لجمهورية «بيرو»، ثم قال: إن كل واحد منا معه هذه الخريطة. ثم أشار بيده إلى الخط الحديدي الواضح على الخريطة، وقال: هنا في نهاية الخط مدينة «كوزكو». ثم أشار إلى رقم في قلب الخريطة، وقال: هذه بعض المعلومات عن مدينة «كوزكو».

أخذ يقرأ لهم ما هو مكتوب، وكانت المعلومات تشير إلى أماكن الفنادق والمطاعم في المدينة، وأقسام الشرطة، والإسعاف. أخيرًا قال: سوف ننزل في فندق «بونو»، والآن ينبغي أن نقسم أنفسنا، فالقطار يهدِّئ سرعتَه، وهذا يعني أنه يقترب من محطة ما!

كان القطار يُطلق صَفَّارته، وكأنه يُعلن عن وصوله.

قال «أحمد»: سوف أنزل أنا و«باسم» إذا نزل الرجل ... و«خالد» و«هدى» يستمران إلى «كوزكو» ... وينزلان في الفندق الذي اتفقنا عليه.

طوى «أحمد» الخريطة ثم وقف، فوقف «باسم». قال «أحمد»: إلى اللقاء.

ثم خرج، فخرج خلفه «باسم»، وأخذا طريقهما في اتجاه مقصورة الرجل، لكنهما لم يصلا إليها، فقد توقفا عند باب الخروج، وأبطأ القطار أكثر فأكثر، وشاهد «أحمد» — على رصيف المحطة الذي بدا — مسافرين كثيرين يحملون أمتعتهم، بينما كان «باسم» يُراقب مقصورة الرجل.

توقَّف القطار، وبدأ الركاب يدخلون القطار، والبعض الآخر ينزل، لكن الرجل لم يظهر من مقصورته.

بدأ القطار يتحرك حركة بطيئة، ويُطلق صَفَّارته التي يعلن بها عن رحيله ... وفجأة ظهر الرجل على باب المقصورة، لكنه لم يتجه إلى باب النزول، فقد اتجه إلى بوفيه القطار.

نظر «باسم» إلى «أحمد»، وأخبره بخط سير الرجل، فقال «أحمد»: ربما انتقل إلى عربة أخرى، عن طريق ذلك الممر الصغير، الذي يربط العربات ببعضها. فقال «باسم»: فلنذهب إلى البوفيه. أخذا طريقهما إلى البوفيه. كانت سرعة القطار قد ازدادت، حتى أصبح من الصعب النزول من القطار، كان الرجل لا يزال يتقدَّم، ومن بعيد كان «أحمد» و«باسم» خلفه، يقتربان من عربة البوفيه، ودخل الرجل العربة، فأسرع الاثنان خلفه، وكان الممر خاليًا تمامًا، وكانت مقصورات القطار مغلقة.

دخلا البوفيه ولكنهما لم يجدا الرجل، ظلَّا يبحثان بأعينهما عنه في كل مكان، بلا جدوى، قال «باسم»: لقد اختفى! ... إنه رجلٌ آخر منهم!

لم يردَّ «أحمد»؛ كان يفكر بسرعة، وأسرع في مشيته بين الركاب الذين كانوا يملئون البوفيه، كان الباب الآخر للعربة قريبًا، فاقترب «أحمد» منه وخلفه «باسم» ... كان «أحمد» يفكر هل يستطيع الرجل أن يقفز من القطار وهو على هذه السرعة؟

وفجأة ... أصبح واضحًا أنهما قد يبدآن معركة مباشرة.

معًا في قطار واحد

لقد كان خلف الرجل رجلٌ آخر. كانا يبتسمان. ولم يدر «أحمد» ماذا يفعل، إلا أنه ابتسم أيضًا، وأفسح الطريق لهما ليمرَّا. مرَّ الرجلان، وتوقَّف «أحمد» قليلًا وخلفه «باسم»، وما إن اختفى الرجلان حتى قال «أحمد»: يبدو أنهم كثيرون هنا، فنحن نقترب من «ماهشوبيكشو»، انتظر قليلًا. ثم أخذا طريقهما إلى البوفيه، فوجدا الرجلين جالسين على منضدة قريبة من إحدى نوافذ القطار، وفي نفس الوقت قريبة من باب العربة. جلس «أحمد» و«باسم» على منضدة بعيدة قليلًا عنهما، كان «أحمد» يجلس في اتجاههما، بينما «باسم» يعطيهما ظهره.

اقترب جرسون البوفيه من الشياطين، فطلبا عصيرًا، وعندما انصرف الرجل قال «باسم»: لا بد أن نعرف إن كانت هناك محطة قريبة أم لا. عاد الجرسون بالعصير، فسأله «أحمد»: متى نصل إلى المحطة القادمة؟

الجرسون: ما زال هناك وقت.

فنظر «أحمد» في ساعته ثم قال: هل أمامنا نصف ساعة مثلًا؟

الجرسون: أين تريدان النزول؟

ابتسم «أحمد» وقال: في نهاية الخط.

رد الجرسون بابتسامة طيبة، وقال: لا يزال أمامكما وقت طويل.

كان «أحمد» — خلال حديثه مع الجرسون — يراقب الرجلين اللذين كانا يحتسيان القهوة. شكر الجرسون الذي انصرف بعد أن وضع كوبي العصير أمامهما.

كانت أصوات العجلات الرتيبة هي النغمة السائدة في جو عربة البوفيه، وإن كانت بعض أصوات الركاب تعلو في بعض الأحيان، وشرد «أحمد» قليلًا وهو ينظر إلى الرجلين، كان يُفكِّر ... لماذا يترك الموقف يتحول إلى صدام وهما لا يعرفان شيئًا سوى الشكِّ فقط؟

قام أحد الرجلين، وأخذ طريقه إلى باب العربة، ثم اختفى في الممر، كان هو الرجل الثاني. فكَّر «أحمد»: لا بد أنه ذهب إلى مقصورته. بعد لحظات قام الرجل الأول، وأخذ طريقه إلى المقصورة التي فيها الشياطين، وعندما مرَّ بجوار «أحمد» كان يبدو أنه لا يُلقي بالًا إليه، واستمر حتى تجاوز الباب، وأصبح «باسم» هو الذي يراه ... قال «أحمد»: هل دخل عربتنا؟ أجابه «باسم»: نعم، لقد اختفى تمامًا الآن.

نادى «أحمد» الجرسون، ودفع ثمن العصير، ثم قام ومعه «باسم» إلى عربتهما، وعندما تجاوزا الممر الضيق الذي يفصل بين العربة والبوفيه، شاهدا الرجل الأسمر يقف أمام نافذة القطار ... استمرا في طريقهما، حتى دخلا المقصورة ... فوجئ «خالد» و«هدى» بهما، فنظر لهما «أحمد» نظرات فهماها، ولم ينطق أحدهما بكلمة.

ظهر الرجل في باب المقصورة، وقال: هل تسمحون لي بالصحيفة؟

كانت الصحيفة في يدي «هدى»، فابتسمت له وهي تُقدِّمها إليه قائلةً: معذرةً، كُنت أتصفَّحها.

ابتسم الرجل وقال: لا بأس ... ينبغي أن يعرف الإنسان ماذا يدور حوله ... ثم نظر إلى «أحمد» الذي ابتسم له، قائلًا: بالتأكيد، وإلا فإنه يكون غريبًا في هذا الكون! ...

هزَّ الرجل رأسه، وكأنه فهم بالضبط المعنى الذي يقصده «أحمد»، وقال: بالضبط، بالضبط!

خرج الرجل فتبعه الشياطين بأعينهم، فوقف أمام النافذة، وقد شرد قليلًا، نظر «أحمد» في ساعة يده، ثم نظر إلى «باسم»، كان يعني أن المحطة قد اقتربت، وأن أمامهم عشر دقائق فقط، حتى يدخل القطار محطته القادمة ...

كان الرجل لا يزال يقف نفس وقفته الهادئة المتأملة، ومن يده تتدلى الصحيفة، وكأنها لا تعنيه. ثم فجأة رفع الصحيفة أمام عينيه، وكأنه قد تذكَّر شيئًا.

كان «أحمد» يرى وجه الرجل كاملًا، وقد وقف بجانبه يقرأ الصحيفة ... نظر الرجل في ساعة يده ثم ابتسم ... كان القطار قد بدأ يرسل صَفَّارته الحادة، وكأنه يُعلن للمنتظرين في المحطة القادمة أنه قد اقترب منهم. أو ربما كان السائق يُسلِّي طريقه الطويل الموحش، ويُسلِّي الركاب أيضًا.

ألقى «أحمد» نظرةً سريعةً من النافذة ... كانت الجبال ترتفع بلا نهاية، بألوانها البنية والصفراء والبيضاء، وبرغم تدرج الألوان، إلا أن ارتفاع الجبل كان يوحي بالوحشة، فلم يكن هناك إنسان واحد يظهر ... بدأت عجلات القطار تئز ... بفعل الفرملة، ثم أخذت

سرعة القطار تهدأ مع صَفَّارته التي يتردد صداها في الفضاء البعيد العريض ... وقفت «هدى» أمام زجاج النافذة، كان رصيف المحطة قد بدأ، ومعه بدأ ظهور المنتظرين ... كان الرجل لا يزال في نفس وقفته داخل المقصورة وهو يبتسم، ثم وقف بجوار «هدى» قائلًا: معذرة، هل أستطيع أن أقف بجوارك؟

ابتسمت له «هدى» قائلةً: بالتأكيد!

توقَّف القطار، كان الشياطين يرقبون وجه الرجل وهو يتأمل الناس على المحطة. ثم — وبعد قليل — أخذت ابتسامةٌ هادئةٌ تعلو وجهه، فقال «أحمد» في نفسه: لا بد أن هناك شيئًا!

ظلَّ الرجل في مكانه لا يبرحه، مع ثبات ابتسامته على وجهه، وكأنه قد نسيَها ... التفت إليهما وقال في هدوء: إنها بلاد رائعة!

قال «أحمد»: لعلك في رحلة؟

ابتسم الرجل قائلًا: ليس بالضبط ... غير أنني أحب الطبيعة، إنها تأسرني تمامًا، أليست كذلك؟!

أحمد: بالتأكيد. ومن لا يحبها؟

الرجل: إنني أحب الجبال بالذات ... إنها تثير الخيال، وتدعو إلى المغامرة.

هزَّ «أحمد» رأسه، وقال: بلا شك.

جلس الرجل بينهم، بعد أن ترك الصحيفة بجواره، وابتسم يقول: لقد عشت سنوات طويلة متنقِّلًا بين الأماكن الجبلية والصحراوية، إنني لا أحب المدن المزدحمة؛ فهي تُثير الأعصاب.

كان الشياطين يُنصتون للرجل، فأفزعتهم تلك الصَّفَّارة الحادة التي أطلقها القطار، ونظروا إلى بعضهم، ثم ابتسموا. بدأت حركة القطار تعني أنه يُغادر المحطة، وبدأ صوت العجلات ينتظم، واضطُرَّ الرجل أن يرفع صوته قليلًا، حتى يسمعوه، قال: لقد عشت في بلاد كثيرة ... «الهند» ... «باكستان»، «اليابان»، «كوريا»، وزرت «إيران»، إنها بلادٌ جميلةٌ، فيها سحر الشرق.

سألته «هدى»: هل زرت الشرق الأوسط؟

هزَّ الرجل رأسه، وقال: إنني أعرف أنكم منه، فيبدو أنكم من بلاد الفراعنة ... للأسف، إنني لم أزرها، لقد مررْتُ فوقها، فقط ... إنها بلاد جميلة كما قرأت.

سألته «هدى» مبتسمة: ولماذا تقول إننا من بلاد الفراعنة؟

قال الرجل: لكم ملامحهم ... ثم نظر إلى «أحمد»، وقال: خُصوصًا هذا الصديق.

ثم ابتسم وسأل: هل أتعرَّف بكم؟

قالت «هدى»: اسمي أمينة!

قدَّم كلٌّ واحد من الشياطين اسمه، ولم يكن هو اسمه الحقيقي، قال الرجل في النهاية: إنني سعيدٌ بلقائكم. ثم قدَّم نفسه: اسمي الدكتور «هام».

نظر في ساعته ثم ابتسم لهم قائلًا: أعتذر، فلا بد أن أشرب قهوتي الآن. إن كنتم مسافرين حتى نهاية الرحلة، فسوف نتحدَّث طويلًا. إن السفر يخلق صداقات طيبة، وأرجو أن نكون أصدقاء.

شكره الشياطين، فخرج، لكنه عاد بعد لحظة وقال لهم: هل أدعوكم إلى فنجان شاي؟ ...

قال «أحمد» بسرعة: نحن نشكر هذه الدعوة، لكننا سوف نظل في انتظارك، والمؤكد أننا سوف نسمع حكايات بديعة عن تجربة حياة الدكتور في تلك المناطق!

هزَّ الرجل رأسه وقال: لا بأس ... ثم خرج.

ما إن اختفى حتى قال «خالد» فيما يشبه الهمس: ينبغي أن نكون أكثر حذرًا في مراقبته، وإلا فإننا نكون غير أذكياء بالمرة ...

ابتسم «أحمد» ثم قال: إنها خطة طيبة منه، غير أنني أتوقَّع أن يتصرف بعكس ذلك تمامًا!

هدى: ماذا تعني؟

أحمد: أعني أننا سوف نضحك كثيرًا.

لم يفهم الشياطين ماذا يعني «أحمد» الذي اختفت ابتسامته فجأة، وهو يُخرج جهاز الاستقبال الصغير. أسرع باسم إلى الباب لمراقبته، وبدأ «أحمد» في تلقِّي الرسالة: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»، إن اجتماع هؤلاء الرجال سوف يكون في منتصف ليلة الغد، داخل مدينة «ماهشوبيكشو»، وهم يتجمعون الآن، والمؤكد أنكم قد قابلتم بعضهم. إن المعلومات التي وصلت إلينا تقول إنهم لا يزيدون على العشرات، وإن كانوا منتشرين في العالم، غير أن الذين سيجتمعون هم الذين سوف يضعون خطتهم لتجميع الباقين. أتمنى لكم التوفيق.»

أطفأ «أحمد» الجهاز، فأسرع «باسم» بالانضمام إليهم ... قال «خالد»: إذن ... فإن مغامرتنا سوف تبدأ من الغد!

باسم: بل إنها بدأت الآن ... إننا نستطيع أن نختصر كل شيء، إذا ظللنا في حالة اتصال بهم.

ابتسم «أحمد» وقال: إنهم لن يُعطونا هذه الفرصة!

صمت الشياطين، ولم يعد هناك صوتٌ غير صوت عجلات القطار، فأخرج «أحمد» أحد ألعاب الشياطين، وقال: هيَّا نقطع الوقت، ما دُمنا نعرف طريقنا ... فجلست «هدى» أمام «أحمد»، ثم بدأ كل منهما يرصُّ قطع الشِّطْرنج على الطاولة، واستغرقوا جميعًا في مراقبة اللعبة.

كان القطار يطوي المسافات الشاسعة بسرعة، ولم يعد يُطلق صَفَّارته، لم يكن هناك سوى هذه الاهتزازات التي يسببها القطار.

قالت «هدى»: كش ملك!

ابتسم «أحمد» ثم مدَّ يده، ونقل الملك من مكانه، وهو يقول: إلا الملك!

ابتسم الشياطين، غير أن «باسم» وقف فجأةً، وقال: سوف أذهب إلى البوفيه، لقد غاب الدكتور «هام»!

قال «خالد»: لا بأس ... هل آتي معك؟

باسم: الأحسن أن أكون وحدي، حتى لا نلفت النظر.

كان «أحمد» مستغرقًا هو و«هدى» في اللعب، ولذلك لم يُعلِّق على شيء.

وخرج «باسم» وأخذ طريقه إلى البوفيه ... كان اهتزاز القطار يجعله يمشي مترنِّحًا في الممر الطويل؛ فقد كانت سرعة القطار كبيرة، وعندما اقترب من باب البوفيه ... وقعت عيناه على الدكتور «هام»، غير أن الدهشة ملأت وجهه. لقد كان هناك عدد من الرجال لهم نفس ملامح الدكتور، وكانوا يجلسون في هدوء، يُدخِّنون ويشربون القهوة ... لم يتراجع «باسم»، فقد أخذ طريقه إلى البنك، حيث يجلس البعض أمام البوفيه، وما إن جلسَ حتى سمِع صوتًا يناديه باسمه المستعار، وعرف بسرعة أنه الدكتور «هام»، والتفت خلفه، فأشار له الدكتور مبتسمًا: انضم إلينا أيها الصديق!

فكَّر «باسم» بسرعة، ثم نزل عن كرسيِّه، متجهًا إليهم.

كان الرجال ينظرون إليه، وعلى وجوههم ابتسامة هادئة فحيَّاهم «باسم» برقَّة، ثم قال للدكتور: شكرًا سيدي الدكتور. فقط اسمح لي أن آخذ الشاي هناك!

الدكتور «هام»: ولماذا هناك؟ أليس معنا أفضل؟

باسم: قد أسبب لكم بعض الإزعاج.

هام: إطلاقًا ... سوف يُسعدنا ذلك كثيرًا.

فكَّر «باسم» بسرعة ... هل يجلس معهم؟ ثم، ألا يسبب غيابه قلق الشياطين، فيأتون مسرعين؟ قال مبتسمًا: إنني سوف آخذ الشاي لبقية الأصدقاء، وهم ينتظرونني فشكرًا يا سيدي الدكتور.

حيَّاهم مرة أخرى، ثم انصرف، وطلب الشاي للشياطين، ثم حمله في أكواب من البلاستيك وانصرف، فتقابل مع الجرسون في الطريق، فسأله «باسم»: هل نحن نقترب من محطة ما؟

نظر الجرسون في ساعة يده وقال: نعم، بعد ربع ساعة.

شكره «باسم» ثم استمرَّ في طريقه إلى مقصورة الشياطين ... كانت أكواب الشاي تهتزُّ في يديه حتى إنه خشيَ أن يقع الشاي عليه، فمشى بسرعة، حتى يمكن أن يحفظ توازنه. وعندما وقف على باب المقصورة، حيَّاه «خالد»: رائع ... إنني كنت أفكِّر في كوب شاي.

ابتسم «باسم» وقدَّم لهم الشاي، ثم جلس هامسًا: إنهم يتجمَّعون الآن!

سأل «أحمد»: من هم؟

باسم: ستة رجال، مع الدكتور «هام» ومن بينهم الرجل الآخر، الذي رأيناه!

هدى: هذا شيء طيب ... إنهم سوف يأخذوننا معهم.

ابتسم «أحمد»، وقال: يكون شيئًا رائعًا لو حدث هذا!

أخذ الشياطين يشربون الشاي، بينما انطلقت صَفَّارة القطار مدوِّية. قال «أحمد»: إننا نقترب من محطة ما.

خالد: ألا يجب أن نُراقبهم؟

أحمد: لا أظن. إننا في النهاية سوف نلتقي بهم، وهم لا بد أن يصلوا إلى هناك.

توقَّف القطار، ونظر «أحمد» من النافذة، كان أفراد قلائل يقفون على الرصيف، ولم يقف القطار طويلًا، فقد أطلق صَفَّارته معلنًا قيامَه، ثم بدأت حركة العجلات. أسرع القطار قليلًا، ثم أخذت سرعته تزداد، وفجأةً علت وجهَ «أحمد» الدهشة، وصاح: انظروا!

لكن الشياطين لم يروا شيئًا، فقد كانت سرعة القطار قد ازدادت ...

اثنان في الليل

أسرع «أحمد» إلى عربة البوفيه ... كان الشياطين يرقبون «أحمد» في دهشة بعد أن صاح: «انظروا»، فلم يروا شيئًا ... قطع «أحمد» ممر العربة في لمح البصر، وعندما وقف عند باب عربة البوفيه، مرَّت عيناه بسرعة على وجوه الموجودين، لم يكن الدكتور «هام» هناك، ولا أحد غيره ممن يبحثون عنهم ... تأكَّد «أحمد» في تلك اللحظة أنَّ ما رآه على رصيف المحطة كان صحيحًا ... عاد بسرعة إلى الشياطين الذين كانوا لا يجدون إجابة لما فعله «أحمد»، وعندما جلس قال: لقد اختفَوْا!

صاح «باسم»: دكتور «هام» ومن معه؟!

أحمد: نعم! ...

صمت الشياطين ولم يكن من صوت سوى إيقاع العجلات المنتظم، بعد لحظات قال «أحمد»: على أي حال ... نحن في النهاية سنلتقي بهم، يكفينا الآن أننا عرفنا دكتور «هام».

تكرر وقوف القطار في محطاته، لكن ذلك لم يَعُد يعني الشياطين، إن المهم هو الوصول في النهاية إلى آخر محطة ... أخذوا يقطعون الوقت في لعب الشِّطْرنج، أو أحاديث الذكريات القديمة، ومغامراتهم في «الهند» وأساطيرها، وتلك المغامرة الرائعة التي قاموا بها في «إيطاليا» عندما بدأت مغامراتهم ... ومع حديثهم انقضت الساعات وانقضى الطريق أيضًا ...

مرَّ مفتش القطار ليرى تذاكر السفر، فسأله «أحمد»: متى نصل إلى أقرب محطة من «كوزكو»؟ ... فقال المفتش وهو ينظر في ساعته: أمامنا ساعة ...

كان المساء قد بدأ يزحف على الأشياء، حتى إن التفاصيل لم تعد تظهر من زجاج النافذة كثيرًا، لم تكن هناك سوى مساحات من الألوان البنية الرمادية بفعل المساء، حتى إن ذلك فرض نفسه عليهم، فجلسوا صامتين بلا لعب ولا حديث ...

فجأة ... تعلَّقت أعينهم بالباب ... لقد ظهر رجل له نفس ملامح دكتور «هام»! لكن ذلك لم يجعلهم يستمرُّون في النظر إليه ... فقد تشاغلوا بالكلام. قال الرجل: هل تسمحون لي بمصاحبتكم؟ إن العربات امتلأت عن آخرها ...

قال «خالد»: يُسعدنا أن تُشاركنا المكان ...

الرجل: لي زميل، هل أستطيع أن أدعوه، إنني أرى مكانين بينكما ...

خالد: بالتأكيد ...

شكرهم الرجل، وانصرف ... نظر الشياطين إلى بعضهم ثم ابتسموا، قالت «هدى»: إن الحظ يخدمنا ... لكن ينبغي أن نكون أكثر حرصًا هذه المرة ...

أحمد: هذا صحيح. لقد أخطأنا في المرة السابقة ...

لم تمرَّ دقائق حتى ظهر الرجلان. ألقى الرجل الآخر تحية المساء، ثم أخذ كلٌّ منهم مكانه. كانت «هدى» تجلس بجوار «خالد» و«باسم»، بينما كان «أحمد» يجلس بجوار الرجلين. وفي هدوء كان الثلاثة؛ «خالد»، و«باسم»، و«هدى» يرقبون الرجلين ...

مرَّت فترة صمت، قطعها الرجل الأول قائلًا: اسمحوا لي أن أُقدِّم لكم نفسي حتى نقطع الصمت الثقيل هنا ... إنني «جاكو»، وزميلي مستر «كيلاك». هل نتعرَّف عليكم؟

قدَّم «أحمد» الشياطين بأسماء مستعارة ... قال «جاكو»: هل تذهبون إلى نهاية الخط؟

أحمد: نعم ...

جاكو: هل أنتم في رحلة؟

أحمد: إننا نبحث عن عمل ...

جاكو: عمل؟! هذه مناطق جبلية، والعمل فيها قليل ...

أحمد: لقد قرأنا أن هذا موسم جمع «الكاكاو» وقصب السكر ...

جاكو: هذا صحيح، وإن كان العمل شاقًّا ...

ابتسم «أحمد»، وقال: أعتقد أننا في السن التي تسمح بأن نتحمَّل العمل الشاق ...

ابتسم «كيلاك» وقال: هل تقصدون أحدًا معيَّنًا؟

أحمد: لا، ولكننا سنبحث عن مكاتب العمل.

هزَّ «كيلاك» رأسه، ولم يُجب. فاستمرَّ «أحمد»: الحقيقة أنها مناطق جديدة بالنسبة لنا ...

تحدَّث «جاكو»: هذا يعني أنكم عملتم في مناطق أخرى ...

أحمد: نعم. كنَّا نعمل في مزارع العنب في فرنسا ...

ابتسم «جاكو»، وقال: هذا شيء رائع أن يبدأ الشباب العمل مبكرًا ...

صمت الجميع مرة أخرى، غير أن «كيلاك» قطع هذا الصمت قائلًا: وأين ستنزلون؟

أحمد: الدليل يقول لنا إن هناك فنادقَ كثيرةً متناثرةً في هذه المناطق، ولن تكون هناك أية مشكلة ...

صمت «كيلاك». كان بقية الشياطين يراقبون الحوار الدائر بين الرجلين وبين «أحمد»، وعندما صمتوا، قال «خالد»: هل يسمح السيد «كيلاك» بأن يدلَّنا عندما ننزل المحطة ...

اغتصب «كيلاك» ابتسامة، وقال: لا بأس. لكني لا أعرف إن كنتم ستنزلون في نفس المحطة ...

خالد: سوف ننزل بالقرب من «كوزكو» ...

تردَّد تعبير الدهشة على وجه «جاكو»، وسرق نظرةً إلى وجه زميله «كيلاك» الذي قال: إذن، سننزل معًا!

قال «أحمد» بسرعة: منذ أيام تعرَّفنا في «ليما» بدكتور، اسمه الدكتور «هام»، وأخبرنا أننا يمكن أن نسأل عنه في «كوزكو»، فهو معروفٌ هناك ...

راقب «أحمد» وجه الرجلين وهو يذكر اسم «هام»، إلا أن أحدًا منهما لم يظهر على وجهه شيء، وإن كان «جاكو» قد تردَّد قليلًا، ثم نظر إلى «أحمد» قائلًا: دكتور «هام» في «كوزكو»، لا أظن أن هناك طبيبًا بهذا الاسم ...

سأل «أحمد»: هل السيد «جاكو» من «كوزكو»؟

لم يرد «جاكو» مباشرةً، وإنما قال بعد لحظة: إنني من هناك حقًّا، لكنني كنت أعيش بعيدًا عن «كوزكو» سنوات طويلة، وربما لهذا السبب لا أعرف الدكتور «هام».

صمتوا مرةً أخرى، وبعد دقائق نظر «كيلاك» في ساعة يده، ثم نظر إلى «جاكو» قائلًا: إننا نقترب. فنظر «جاكو» في ساعته، ثم قال: لا يزال أمامنا وقت يعطينا الفرصة لاحتساء فنجان قهوة ...

نظر «كيلاك» إلى الشياطين ثم قال: هل يمكن أن أدعوَكم إلى فنجان قهوة؟

شكره الشياطين. فقال: إذن، نحن في البوفيه، وعندما نتوقف في المحطة، أرجو أن أراكم ...

قام «جاكو» و«كيلاك» وخرجا من المقصورة ... قالت «هدى»: لماذا ذكرت اسم «هام»؟

أحمد: كنت أُريد أن أعرف إن كانوا يعرفون بعضهم أم لا ...

هدى: وهل عرفت؟

قال «أحمد» بعد فترة: المسألة لها وجهان. قد يكون يعرفه، ويُخفي الحقيقة، وقد يكون لا يعرفه فعلًا؛ فقد كانوا متفرقين، في أماكن كثيرة من العالم ...

باسم: أخشى أن يكون ذكرك لاسم «هام» إشارة لأن يشكُّوا فينا ...

أحمد: ولماذا يشكُّون؟ إن أحدًا لا يعرف ماذا يفعلون. ولا ماذا نعرف ...

خالد: ألا نراقبهما؟

أحمد: إننا في النهاية سننزل في محطة واحدة ...

سكت الشياطين، واستغرق كل منهم في تفكيره ... ألقى «خالد» نظرة من زجاج النافذة، لم يكن يظهر شيء، كان الليل قد غطَّى كل الأشياء، ارتفعت صَفَّارة القطار، وظهر الكمساري على الباب، قال لهم: إننا نقترب من «كوزكو»، يمكن أن تستعدوا ...

شكره «أحمد»، وبدءوا يُنزلون حقائبهم من فوق رفوف المقصورة، ثم خرج الواحد بعد الآخر إلى الممر أمام المقصورة. كان هناك ركاب كثيرون يقفون مثلهم. ألقى «خالد» نظرةً على الركاب، كانوا جميعًا أصحابَ ملامح متشابهة، لكن كان ينقصهم طول قامة هؤلاء الرجال.

كان الركاب في حالة صمت، ولم يكن أحد منهم يتحدَّث مع الآخر، وكأنهم جميعًا لا يعرفون بعضهم ... أو ... كأنهم غرباء عن المكان.

بدأت صَفَّارة القطار تزداد، حتى أصبحت صَفَّارة طويلة متقطِّعة. ثم بدأت سرعة القطار تهدأ شيئًا فشيئًا، فأخذ الشياطين طريقهم إلى عربة البوفيه ... كانوا يمرون بصعوبة لازدحام الممر ... وعندما وقف «أحمد» على باب العربة، شاهد «جاكو» و«كيلاك» يجلسان، وقد انهمكا في الحديث. لم يكن أيٌّ منهما يرى «أحمد»، فظلَّ واقفًا في مكانه، يراقبهما ...

توقَّف القطار أخيرًا، وبدأت جَلَبة الركاب وزحامهم في النزول من القطار. وبين الزحام، حاول «أحمد» أن يرى «جاكو» أو «كيلاك»، إلا أنه لم يستطع. دفَعَه الزحام إلى الباب، فنزل. رأى بقية الشياطين يقفون مع الرجلين ... أسرع تجاههم، وعلى وجهه ابتسامة عريضة ...

قال «جاكو»: هل ستنزلون في فندق معين؟

باسم: لا يهم، أي فندق ...

خالد: هناك فندق اسمه فندق «بونو» ...

رفعت «هدى» يدها وأشارت إلى اتجاه معين. نظروا في اتجاه يدها، فقرءوا لافتة بالنيون مكتوبًا عليها: فندق بونو.

قال «كيلاك»: أتمنى لكم حظًّا سعيدًا إذن ...

حيَّاهم، ثم انصرف هو و«جاكو». قال «أحمد»: لا بد أن يتبعهما أحد ... ردَّ «باسم»: هيا بنا نتبعهما معًا. و«خالد» و«هدى» يذهبان إلى الفندق ... أخذ «خالد» حقيبة «أحمد»، وأخذت «هدى» حقيبة «باسم» ثم انصرفا ...

ومن بعيد، تابع «أحمد» و«باسم» الرجلين، كانا يسيران في هدوء، وفي مكان بعيد على رصيف المحطة الخارجي، وقفا ... كان يبدو أنهما ينتظران شيئًا. ظل «أحمد» و«باسم» يراقبانهما، ولم تمرَّ دقائق، حتى وصلت سيارة جيب وكأنها سيارة جيش، وقفت أمامهما، ونزل منها السائق، ثم تقدَّم منهما، وحيَّاهما تحيةً حارةً وفتح لهما الباب، فركبا. نظر «أحمد» حوله، كانت هناك سيارة تاكسي قريبة، أشار إليها فأسرعت إليه. ركب «أحمد» و«باسم» التاكسي، وقال «أحمد» للسائق: هل يمكن أن نتبع السيارة الجيب التي تحركت الآن ...

لم يُجِب السائق ... وإنما انطلق بالتاكسي خلف الجيب ... كانت إضاءة الشوارع خافتة، حتى إن السيارة الجيب لم تكن تظهر جيدًا، ومضى وقت طويل في متابعة الجيب، ثم فجأة، بدأت سيارة التاكسي ترتج. توقَّف السائق وقال: إن هذه منطقة جبلية، ومن الصعب أن نستمر في التقدم ...

قال «أحمد»: إن السيارة الأخرى تسير أمامنا!

السائق: إنها سيارة خاصة بتلك الطرق. ثم ... إلى أين تريدان الذهاب بالضبط؟

أحمد: إلى حيث تذهب هذه السيارة! ...

السائق: لا أظن. فالمناطق هنا غير مأهولة ... ولا أدري إلى أين بالضبط يمكن أن نذهب!

أخرج «أحمد» مسدسه ... ووضعه في ظهر الرجل، وقال بلهجة حادة: تقدَّم. إننا في مهمة!

ارتجف الرجل وقال: إلى أين يا سيدي؟ إن هذه مهمة صعبة!

أحمد: ولذلك سمَّوها مهمة ... انطلق قبل أن نفقد أثر الجيب ...

انطلق السائق، غير أن السيارة بعد أن قطعت عدة مترات توقَّفت، وكان من الصعب أن تتحرك من مكانها مرة أخرى، قال السائق: هناك استحالة أن تتحرك السيارة؛ إن الطرق هنا جبلية، وتحتاج إلى سيارات خاصة ...

صمت «أحمد» قليلًا، وقال «باسم»: هيا ننزل، من المؤكد أننا سنجد وسيلة ما ...

أحمد: كيف؟

باسم: أي شيء ... إن اجتماع ...

لم يُكمل «باسم» كلامه، خوفًا من أن يعرف السائق شيئًا، وفي نفس الوقت فهم «أحمد» ماذا يقصد «باسم»، أخرج عدة جنيهات ثم قدَّمها للسائق قائلًا في ودٍّ: أرجو أن تعذِرني، كان يجب أن نلحق بالجيب ...

شكره الرجل، دون أن يزيد كلمةً واحدة، ثم حاول أن يستدير بالتاكسي، إلا أنه وجد صعوبةً، فساعده «أحمد» و«باسم» حتى أخذ طريق العودة ثم انطلق ... وقف الاثنان ينظران حولهما، كانت المنطقة مظلمةً تمامًا، قال «أحمد»: ماذا نفعل الآن؟

باسم: من المؤكد أن كثيرين منهم سوف يمرون الآن. ومن المؤكد أيضًا أننا سنجد وسيلة ...

أخذا جانب الطريق، ثم جلسا على صخرة. كان الصمت يلف كل شيء ... الليل هادئ. أخرج جهاز الإرسال الصغير، ثم تحدث فيه: إلى «ش. ك. س» هل وصلتما؟

جاءه الرد سريعًا: نعم. حجزنا. ما الأخبار؟

ردَّ: ليس بعد. تحياتي ...

أنصت «باسم» قليلًا، ثم قال لـ «أحمد»: استمع! أليس هذا صوت سيارة؟ ...

وقف «أحمد» فوق الصخرة، فرأى ضوء سيارة يقترب، وإن كان يختفي في بعض المنحنيات، قال: نعم هناك سيارةٌ تقترب ...

أسرعا إلى منتصف الطريق، ووقفا فيه دقائق، وبدأ ضوء السيارة يظهر أكثر فأكثر ... حتى أصبحا يقفان في ضوء السيارة ... وتوقف السائق. اقترب «أحمد» و«باسم» من السيارة، ثم ... كانت المفاجأة ...

داخل قلعة «ماهشوبيكشو»

لقد كان دكتور «هام» داخل السيارة. ما إن رآهما حتى ابتسم قائلًا: إلى أين أيها الأصدقاء؟

كان يجلس بجواره رجلٌ آخر. نفس الرجل الذي رأَوْه في القطار ... قال «أحمد»: يبدو أننا فقدنا الطريق.

هام: أي طريق هذا؟

أحمد: إننا نبحث عن فندق!

ضحك «هام» ضحكة عالية، ثم قال: فندق! هنا! إن الفنادق أمام المحطة مباشرة. وبيننا وبين المحطة نصف ساعة بسيارة مسرعة ...

صمت قليلًا، وهو يرمقهما بعينين حادتين ... ثم سأل: وأين بقية الزملاء؟

باسم: يبدو أننا فقدنا أثر بعضنا في الظلام ...

ابتسم «هام»، وسأل: لا بد أنكم كنتم مغمضي الأعين، حتى تفقدوا أثر بعض!

أحمد: قد نكون نزلنا خطأً ... فلم تكن هذه وجهتنا ...

صمت «هام» قليلًا، ثم تحدَّث إلى من بجواره بلغة لم يفهمها الشياطين، ثم قال: لا بأس ... تفضلا.

نظر «باسم» إلى «أحمد»، ثم تقدَّم الاثنان إلى السيارة حتى أصبحا بجوار الباب الذي فتح لهما ... كانت السيارة مشابهةً تمامًا للسيارة الجيب التي اختفت ... ركب «أحمد» و«باسم» في الكرسي الخلفي ... غير أن «هام» قال: لا، لا. اركبا في الكرسي الأمامي بجوار السائق ...

نزلا وجلسا بجوار السائق، وما إن أغلق «أحمد» باب السيارة حتى انطلقت بسرعة. ورغم وعورة الطريق، ورغم أنها كانت تقفز بين الحُفَر والمرتفعات الصغيرة، إلا أنها كانت مسرعة ...

ظلَّ «هام» ومن معه يتحدثان بلغة غير مفهومة ... وضع «أحمد» يده في جيبه الداخلي، ثم ضغط زرَّ المسجل الصغير، فبدأ يعمل ... كان يفكِّر: قد تفيد هذه اللغة الغريبة، فربما استطعنا كشفها.

ظلت السيارة تقفز، والاثنان في حالة حديث لا يتوقَّف، بينما ظل «أحمد» و«باسم» صامتين ...

مدَّ «باسم» يده في هدوء، وأمسك يد «أحمد»، ثم ضغط عليها ضغطات يفهمها الشياطين ... أخفى «أحمد» ابتسامةً كادت تظهر على وجهه، ثم ضغط هو الآخر يد «باسم». وردَّ أحمد: إن أحسن طريقة أن تذهب إلى عرين الأسد، ولا تنتظره ...

بدأت السيارة، تصعد طريقًا مرتفعًا. لم يكن يُسمع سوى صوت الموتور في الليل، وبين لحظة وأخرى يسمع صوت صخرة صغيرة تتهاوى بفعل اهتزاز السيارة، فقد كان الطريق يرتفع أكثر فأكثر. ثم تحدَّث السائق للرجل، بنفس اللغة غير المفهومة، فبدأ الرجلان يربطان أحزمة في السيارة حول وسطهما ... ثم قال «هام» مخاطبًا «أحمد»: بجوار كل منكما حزام، اربطاه حتى لا تقعا علينا ...

مدَّ «أحمد» يده يبحث عن الحزام حتى وجده، فربطه حول وسطه، وفعل «باسم» مثله. ظلَّ الطريق يرتفع. فجأةً ... ظهرت سيارة في الطريق، كانت تقف في جانبه ... أعطت إشارةً ضوئيةً لفتت نظر الشياطين ... كانت تُضيء وتُطفئ فوانيسها ثلاث مرات متتالية، ثم تُطفئ تمامًا، ثم تعود لتكرار ذلك مرتين ... تحدَّث «هام» بلغته إلى الرجل الذي يجلس بجواره ... اقتربوا من السيارة المتوقفة فلمع ضوءٌ قويٌّ في وجهي «أحمد» و«باسم»، حتى إنهما اضطُرَّا إلى إغماض عيونهم، وقبل أن يتمكنا من رؤية من أمامهما، كانت السيارة قد انطلقت. بدأ حديث «هام» وزميله، وفي نفس الوقت كان «أحمد» و«باسم» يتحدثان بلغة الأيدي ...

قال «باسم»: يبدو أنها نقطة حراسة ...

أحمد: بالتأكيد ... ويبدو أننا سنلاقي منها الكثير! ...

ظلت السيارة في انطلاقها، مع تصاعد الطريق ... وكانت الأضواء تكشف الصخور التي تقع على الجانبين، في حين أن الطريق كان مُعبَّدًا، أكثر مما كان في بدايته، حتى إن «أحمد» فكَّر: لا بد أن صعوبة الطريق في بدايته مقصودة ...

بعد قليل، ظهرت سيارة أخرى على جانب الطريق، وفي مساحة الضوء التي تكشف الطريق، وقف اثنان أيضًا ... تكررت الإشارة الضوئية، فوقفت السيارة، وهذه المرة أغمض الشياطين أعينهما، حتى لا تتأثر بالضوء ...

وعندما فتحاها، كانت السيارة لم تنطلق بعد، وكان هناك حديث يدور بين حارسي الطريق، ودكتور «هام»، شاهد «أحمد» و«باسم» عددًا من الحراس، يحملون المدافع الرشاشة، وقد لبسوا ملابس لها لون الصخر، وعلى الكتف علقت شارة، استطاع «أحمد» القريب من الباب أن يراها جيدًا ... كانت شارة تشبه الفأر الصغير ... نظر «أحمد» إلى «باسم» الذي نظر بدوره إلى كتف أحد الحراس، ورأى الشارة ... ضغط «أحمد» يد «باسم» يُحدثه بلغة الإشارة؛ قال له: «الآن تأكَّدنا من أنهم فعلًا هؤلاء الرجال الذين نبحث عنهم» ... انطلقت السيارة في سرعة رتيبة هذه المرة، فقد أصبح الطريق أملس تمامًا، مما ساعد على انطلاقها. ولأول مرة سمع «أحمد» ضحكة «هام» المرتفعة. قال «هام» مخاطبًا «أحمد»: ما رأيك ... أليست رحلةً طيبة؟

ابتسم «أحمد» والتفت إلى «هام» قائلًا: بلا شك خصوصًا أنها مع شخصية هامة!

هام: من تقصد؟

أحمد: حضرتك طبعًا.

هام: وكيف عرفت؟

أحمد: نقطة الحراسة، تُعطي إيحاء بذلك ...

ضحك «هام» ضحكة عالية، ثم قال: إنك شاب ذكي!

صمت الجميع، ولم يعد هناك سوى صوت السيارة التي تنطلق كالصاروخ. تحدَّث السائق بعد لحظة إلى «هام» الذي قال بعد أن انتهى حديث السائق: يمكنكما فكُّ الحزام ...

شيئًا فشيئًا ... بدأت تظهر أصوات، كأنها الصلاة. حاول «أحمد» و«باسم» أن يتبيَّنا ما يُقال، إلا أنهما لم يستطيعا. كانت الأصوات تقترب أكثر، ثم بدأت بقعةٌ من الضوء الأبيض تظهر، أخذت تتسع وتتسع، وكلما اقتربت السيارة، ارتفعت الأصوات أكثر. شعر «أحمد» بالرهبة. كان الجو غريبًا تمامًا ... ضغط «أحمد» يد «باسم» الذي ردَّ عليه بلغة الأيدي، كان «أحمد» يقول: مسألة غريبة، أليس كذلك؟

بدأت التفاصيل تظهر أكثر. رأى الشياطين مجموعةً كبيرةً من الرجال، وكأنهم يؤدُّون نشيدًا حماسيًّا، وكانت بقعة الضوء تغطيهم تمامًا. نظر «أحمد» إلى «هام» وقال: هل هذه صلاة؟

ابتسم «هام» ولم يرد، فقد بدأ يردد نفس الكلمات التي يسمعها «أحمد»، وإن كان لا يفهم معناها ...

توقفت السيارة بعيدًا قليلًا عن الجمع الموجود ... نظر «هام» إلى السائق ثم تحدَّث إليه بكلمات غير مفهومة، ثم ترك السيارة هو والرجل الآخر. ظلَّ «أحمد» و«باسم» يرقبان ما يحدث لحظة، ثم تحدَّث إليهما السائق: هيَّا انزلا ...

نظر الشياطين إلى بعضهما، ثم نزلا من السيارة. قال السائق: اتبعاني ... سارا وراءه في صمت ... كانت الأصوات تهدأ، ثم ترتفع. ظلَّا يبتعدان عن المكان ويدخلان مع السائق في منطقة مظلمة تمامًا. أمسك «باسم» بيد «أحمد» وتحدث إليه: فرصةٌ أن نهرب في الظلام ...

ردَّ «أحمد»: فرصتنا أن نظل معهم ...

اقتربوا من كوخٍ صغيرٍ مبنيٍّ بالحجر الأبيض. فتح السائق الباب ثم قال: ادخلا وسوف آتيكم بعد قليل ...

دخل الاثنان، ثم أغلق السائق الباب. لم يسمعا صرير مفتاح، فظنَّا أن الباب مفتوح. وصلت إليهما أصوات أقدام السائق، وهي تبتعد شيئًا فشيئًا حتى تلاشت تمامًا، قال «أحمد» في همس لا يسمعه سوى «باسم»: أظن أن الباب مفتوح ...

باسم: إنني لم أسمع صوتًا لقفل ...

صمت «أحمد» قليلًا ثم قال: إن هروبنا معناه أننا فقدنا كل شيء، ولهذا فقد ترك السائق الباب مفتوحًا ...

تقدَّم «باسم» من الباب وحاول فتحه ... كان الباب يكاد يكون بناء من الصخر ...

عرَفَ الشياطين أنهما في سجنٍ حقيقيٍّ ... ولم يكن أمامهما إلا الانتظار، رفع «أحمد» عينيه إلى السماء ... وقال: من الغريب أن المبنى بلا سقف ... هل ترى النجوم؟

نظر «باسم» إلى السماء هو الآخر، ثم صاح بصوت هادئ تملأه الدهشة: كم هي رائعة!

كان المبنى بلا سقف، لكن جدرانه كانت عاليةً جدًّا، حتى يصعب معها الهروب ... ومن بعيد، وصل إليهما صوت تلك الصلاة الغريبة، لكنها بدت خافتة تمامًا، وشيئا فشيئًا بدأت تتلاشى، وزحف الصمت على المكان ... حتى الحشرات لم يكن لها صوت ... ولا كلب ينبح ...

بدأ الصوت يزداد في المكان ... فقد طلع القمر، وبدأ الاثنان يتبيَّنان المكان جيدًا ... تقدم «أحمد» من الحائط، ومرَّ بيده عليه ... كان الحائط خشن الملمس تمامًا. نظر إلى «باسم» وقال: «إنه يصلح للصعود.»

أجاب «باسم»: لا جدوى ... فالمؤكد أن هناك من يُراقبنا ...

صمَت الاثنان تمامًا، ولم يعد هناك ما يُقال، لم يكن لديهما سوى الانتظار. أخرج «أحمد» المسجل الصغير ثم بدأ يسمع الشريط ... كانت الكلمات واضحةً لكن اللغة لم تكن مفهومةً. قال «باسم»: يجب أن نُرسل رسالةً إلى رقم «صفر»؛ فنحن نحتاج إلى معرفة هذه اللغة ...

قال «أحمد»: هذه فكرة طيبة ...

أخرج جهاز الإرسال، ثم بدأ يرسل الرسالة: «من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر». إننا داخل «ماهشوبيكشو» ... هناك لغة لا نفهمها ... نريد حل رموزها. المسجل يمكن أن يرسل هذه اللغة.»

توقف «أحمد» قليلًا، يستمع إلى الرد ...

«من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س». أرسل اللغة» ... أدار «أحمد» جهاز المسجل أمام جهاز الإرسال، وبدأ رقم «صفر» يتلقى الرسالة. كان «باسم» يقف قرب الباب مركزًا سمعه على أي صوت، خوفًا من اقتراب أحد ... كانت الدقائق تمرُّ، وقد أمسك الاثنان أنفاسهما فجأةً ... التفت «باسم» إلى «أحمد» قائلًا: هناك صوت خطوات قادمة ... إنها تقترب أكثر، ويبدو أنها لأكثر من واحد ... نظر «أحمد» في شريط المسجل فوجده عند نهايته، أغلق الجهاز، ثم أخفى الجهازين ... أسرع «باسم» إلى «أحمد» ثم جلس الاثنان على الأرض، وقد أراحا ظهريهما على الحائط ... اقترب صوت الخطوات أكثر، حتى أصبح قريبًا من الباب ... لحظة ... ثم فتح الباب ليظهر «هام»، كانت بيده بطارية تُضيء المكان، غير أنها لم تكن تظهر تمامًا ... قال «هام»: والآن ... أنتما بين أيدينا ... أريد أن أعرف بالضبط، ما الذي جاء بكما إلى هنا؟

قال «أحمد» وهو لا يزال جالسًا: هل يظن الدكتور أن هناك شيئًا؟

هام: إذن، ما الذي جاء بكما إلى هنا؟

أحمد: لقد نزلنا في محطة خطأ ... نحن نبحث عن عمل، وقد فقدنا أثر زميلينا نتيجة هذا الخطأ!

نظر «هام» إلى الباب ثم نادى: مستر «جاكو»! مستر «كيلاك»!

فجأة ظهر الاثنان على الباب، وما إن رأيا «أحمد» و«باسم» حتى صاح «جاكو»: كيف وصلتما إلى هنا؟

كانت الدهشة تعلو وجه «كيلاك»، وقال «هام»: أهذان هما من سألا عنِّي؟

جاكو: نعم. غير أنهم كانوا أربعة! ...

بدأ «هام» يُغيِّر لغته، ويتحدث إلى «جاكو» و«كيلاك»، ثم في النهاية قال: أنتما هنا، حتى تقولا الحقيقة ... وأرجو أن تعرفا أن لدينا أجهزة يمكن أن تعرف ما تفكِّران فيه ...

أخرج من جيبه كرةً صغيرةً صفراء ... ألقاها أمامهما قائلًا: عندما تصلان إلى قرار، في الليل، أو في النهار، اقذفا هذه الكرة إلى أعلى، حتى تتعدى السور، وسوف آتيكما ...

استدار وانصرف، فانصرف خلفه «جاكو» و«كيلاك»، ثم أغلق الباب خلفهم ... أخذت أصوات أقدامهم تختفي شيئًا فشيئًا، حتى ضاعت في الليل ... قال «أحمد»: ما رأيك!

باسم: لا شيء ... أعد الاتصال برقم «صفر».

لم يكد «أحمد» يدير جهاز الإرسال حتى جاءه صوت رقم «صفر» يقول: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»، سجل اللغة على الشريط» ...

نظر الاثنان إلى بعضهما وابتسما ... أخيرًا، سوف يعرفان ما يقال ...

وفهم «باسم» معنى الطلقات!

بدأ المسجل يُسجِّل معنى الكلمات، ومعنى مفردات اللغة العربية، وعندما انتهى، كانت نهاية الرسالة: «الرجال يشكُّون فيكم. تصرفوا بسرعة!»

انتهت الرسالة، فقال «باسم»: ينبغي أن نتصرف بسرعة فعلًا ...

تحسَّس الجدار القريب منه، ثم أخرج خنجرين من ملابسه، ودقَّ أحدَهما في الحائط، ثم بدأ يصعد ... كان يغرز الخنجر حتى إذا ارتفع جسمه، غرز الآخر أعلى قليلًا ... وهكذا ظلَّ يصعد ويصعد حتى أصبح عند قمة الجدار، فجلس فوقه وأشار لـ «أحمد»، كان «أحمد» يراه بعيدًا ... أخرج خنجريه، ثم بدأ يصعد على طريقة «باسم» حتى أصبح بجواره ... نظر الاثنان، لم يكن هناك ما يُنبئ عن شيء وكما صعدا، نزلا خارج السجن ... وعندما استقرا على الأرض، أخذا طريقهما في نفس الاتجاه الذي جاءا منه مع السائق ... كانت الصخور حولهما في كل اتجاه، لكن ... كانت طرقات ضيقة تظهر تحت ضوء القمر. قال «باسم»: هيَّا نصعد أحد هذه الجبال ... فربما دلتنا على شيء.

بدآ يصعدان أحد الجبال، حتى اقتربا من قمته ... لكن فجأة انقضَّ عليهما جسم بشري ثقيل، أطاح بهما في الهواء ... وعندما استقر «أحمد» في منطقة قريبة، شاهد عملاقًا أسود، يطير في الهواء ويضرب «باسم» بقدمه ... جرى «أحمد» وطار في الهواء حتى نزل فوق العملاق الذي كان «باسم» قد أمسك بقدمه ... ضربه «أحمد» ضربة قوية، وعاجله «باسم» بضربة أخرى ... لكن لم تمضِ لحظة حتى كان الجبل قد أضاء ... كان الضوء يزحف بما يعني أن هناك قادمًا في الطريق ... زحف الاثنان حتى اختفيا خلف صخرة وانتظرا، حتى اقترب صوت القادمين أكثر، ثم بدأت أشباحهم تظهر، كانوا أربعةً ... اقتربوا حتى التفُّوا حول العملاق الواقع على الأرض ... أدهش «أحمد» أنهم بدءوا يتشمَّمون الهواء، ثم يتجهون إلى نفس الاتجاه الذي يختفي فيه الشياطين ... زحف الاثنان

من خلف الصخرة، في اتجاه مختلف، غير أن الرجال الأربعة غيَّروا اتجاههم أيضًا. لقد كانوا يعتمدون على حاسة الشم. بدا واضحًا للشياطين أنهم سيقعون في أيديهم، فوقفا في مكانهما، وأخرج «أحمد» إبرة مخدرة ثم أطلقها من مسدسه، وفعل «باسم» نفس الشيء ... لحظة، ثم سقط اثنان منهما. وقفا الآخران ينظران حولهما في دهشة وارتفعا بقامتيهما، وتنفسا بعمق، ثم انطلقا في سرعة مجنونة في اتجاه الشياطين ...

دارت معركة بين «أحمد» وباسم والرجلين، استطاع «أحمد» أن يتخلص من غريمه، واستدار ليجد الرجل الثاني يضرب «باسم» بوحشية فاتَّجه نحوه، ولكن فجأةً ... وصلت إلى أذنيه صرخاتٌ وكلماتٌ، فأخرج مسدسه بسرعة، ثم أطلق إبرةً مخدرةً جعلت الرجل يسقط مغشيًّا عليه ...

اقتربت الأصوات أكثر ... كانوا يقولون: لا بد أنها عصابةٌ ضخمةٌ! الويل لهم ...

فكَّر «أحمد» بسرعة، هل يقف مكانه، أم يحاول الهرب مؤقتًا، حتى يمكن أن يستدعيَ «خالد» و«هدى»، وأسرع في اتجاه «باسم» الذي كانت الدماء تسيل من رأسه، وقد فقد وعيه ... حاول أن يُفيقه، إلَّا أن «باسم» لم يتحرك، في نفس الوقت الذي كانت الأصوات تقترب منه أكثر ... قال في نفسه: «هل من الخير أن يجدوا «باسم»، وأن يكون بينهم» ... في تلك اللحظة، تألم «باسم» بصوت مسموع، هزَّه «أحمد» ففتح عينيه المتعبتين، وقال: أين أنا؟

أحمد: قم بسرعة ... إننا قد نضيع لو تأخرنا لحظة ...

نظر «باسم» حواليه، وبدأ يدرك كلَّ شيء ... قال «أحمد»: إنهم يقتربون منا تمامًا ...

أسرع «أحمد» و«باسم» بالجري مختفين تحت صخرة مرتفعة. كانت الأصوات تبتعد وتبتعد، ولم يكن أيهما يدري أين هو الآن، ولا إلى أين هو ذاهب، لكنهما في النهاية كانا يريدان الهرب مؤقتًا، أمام ذلك الجمع الضخم الذي جاء يطاردهما.

قال «أحمد»: يجب أن نبتعد نهائيًّا ... فإنهم يعتمدون على حاسة الشم، ويبدو أنها قويةٌ تمامًا ...

ظلَّا يجريان ليبتعدا، ثم تسلَّقا جبلًا ... وبرغم إجهاد «باسم» إلا أنه كان يتحمل الصخور المدببة التي كان يدوس عليها، حتى إن حذاءه لم يكن يفيد كثيرًا ... ظلَّا يصعدان الجبل حتى وصلا إلى قمته ... كان القمر قد أصبح في منتصف السماء، فيغطي ضوءُه كلَّ شيء، ومن بعيد شاهدا الجمع يحمل المصابين ... ابتسم «أحمد» وقال: معركة طيبة ... انتصرنا فيها ...

قال «باسم»: لكن الإصابة كانت قوية ...

أحمد: لا بأس. لا توجد معركة بلا خسائر …

ابتسم الاثنان، وبدءا ينزلان، غير أنهما شعرا بالتعب فجأةً، فقد سارا كثيرًا، وأنهكهما الصراع … ظلَّا يبحثان عن مكان يأويان إليه، حتى وجدا كهفًا أسفل أحد الجبال قال «باسم»: أعتقد أننا يمكن أن نقضيَ بعض الليل هُنا …

أحمد: لا بأس. فنحن متعبون جدًّا …

دخلا الكهف، وما إن أصبحا في منتصفه، حتى ألقى «باسم» بنفسه على الأرض، كان يتألم، فسأله «أحمد»: هل تشعر بألم حاد؟

باسم: إنني متعبٌ فقط، بجوار أنني أشعر بصداع رهيب …

أخرج «أحمد» من جيبه زجاجة صغيرة، ثم دهن جبهة «باسم» بدهان نفاذ الرائحة، جعلته يشعر ببعض التحسُّن.

قال «باسم»: أعطني حجرًا أضعه تحت رأسي، فإنني لا أستطيع النوم بلا وسادة …

ابتسم «أحمد» في ظلام الكهف، وقال: يبدو أن الوسادة جافة قليلًا …

ابتسم «باسم» ثم استغرق في النوم مباشرةً … نظر له «أحمد» قليلًا، كانت الدماء الجافة تغطِّي شعره، وكان يبدو حزينًا، حتى وهو نائم …

فكر «أحمد» قليلًا، ثم أخرج جهاز إرساله، وبدأ يُرسل رسالةً إلى «خالد»: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» هل أنتما بخير؟ …»

بعد قليل … جاءه الرد: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س»، نعم … أين أنتما؟»

أرسل «أحمد»: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س»، اتركا الفندق إلى آخر بسرعة وقبل أن يطلع النهار!»

أجاب «خالد»: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س»، لماذا؟»

أرسل «أحمد»: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» سوف نتحدث فيما بعد!»

قال «خالد»: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س»، عُلِم، وسوف ننفذ.»

أخفى «أحمد» الجهاز، ثم استلقى بجوار باب الكهف كان ضوء القمر يضيء الأشياء في الخارج، وكانت بعض النباتات الجبلية تنبت قريبًا. أزهار صغيرة لها ألوان متعددة بعثت الراحة في نفسه. ظل يرقبها، حتى استغرق في النوم.

مرَّت ساعات … ثم استيقظ «أحمد» فجأةً … كانت هناك أصواتٌ تقترب، ركَّز سمعه عليها، تأكد أنها فعلًا أصوات لبعض الرجال. قال في نفسه: إنهم يبحثون عنَّا.

فكَّر قليلًا: هل أُوقظ «باسم»؟ أم أتركه نائمًا، وأبدأ معهم لعبة؟ …

زحف حتى خرج من الكهف، ثم توقَّف قليلًا ... كانت الأصوات تقترب ... أسرع إلى صخرة مرتفعة فأبصرهم ... وفي لمح البصر، أبصر واحدًا من بينهم يُشير في اتجاهه ... ابتسم وقال في نفسه: «هذا ما أريده بالضبط» ... ظلَّ واقفًا في مكانه. فجأة، دوَّت طلقةٌ ناريةٌ مرَّت بجواره، فألقى بنفسه على الأرض، ثم زحف مبتعدًا ... كانت الأصوات تقترب، وتصبح ضجيجًا. ظهر مرة أخرى، ثم جرى في الاتجاه المعاكس للكهف. رآهم يتبعونه. ظل يجري، وهم خلفه. كان يفكِّر وهو يجري: ألا توجد كلاب في المنطقة؟! ... ألا يوجد لديهم أي حيوان مطارد ...

كانت الأصوات تقترب ... اختفى خلف صخرة، وانتظر، أخذ يستمع إلى الأصوات، ثم سمع أحدهم يصيح: لا بد أنه شيطان ... ها هو في الجانب الآخر!

دوَّت طلقات الرَّصاص في الفضاء ... فكَّر: هل ظهر «باسم»؟ بدأ يرفع رأسه في حذر، حتى أصبح يقف نصف وقفة، ومن بعيد شاهد «باسم» فوق صخرة مرتفعة، لكنه اختفى مباشرة، عرف أن «باسم» قد استيقظ على صياحهم، وأنه تصرَّف التصرُّف الصحيح ...

«كان لا بُدَّ من تصرف سريع، قبل أن يقع أحدنا في أيدي هؤلاء الرجال». أخرج مسدسه، ثم أطلق طلقة ضوئية خضراء، أضاءت الجبل، فوقف الرجال ينظرون للضوء الأخضر، وهم يصرخون: إنهم شياطين حقًّا!

وابتسم ابتسامةً هادئةً ... ثم أطلق عدة طلقات متتالية، لم يفهمها الرجال ... ولكن «باسم» فهم ما يعنيه «أحمد».

زعيم الإنكا ... يصل!

كانت الطلقات تعني: «الاتجاه إلى الشرق» ... ولذلك، فقد أطلق «أحمد» طلقةً أخيرةً في اتجاه الشرق ... اختفى الاثنان، وأخذا طريقهما إلى حيث الاتفاق ...

كانت الطلقات التي تتالت قد أصابت الرجال بالذعر، فوقفوا لا يدرون ماذا يفعلون، في نفس الوقت الذي كان الشياطين يأخذون طريقهم إلى الشرق ...

بدأ القمر يختفي، وبدأ ظلام ما قبل الفجر يحطُّ على الأشياء ... وكانت برودة خفيفة قد بدأت تهز «باسم»، وبرغم التعب فقد ظلَّ يجري حتى يشعر بالدفء. وشيئًا فشيئًا، أخذ ضوء الفجر يظهر ... ومن بعيد، لمح «باسم» «أحمد» يأخذ طريقه إلى نفس النقطة التي فكَّر فيها ... ولم تمضِ ساعة، حتى ظهرت الشمس، وبدأت تُرسل أشعتها لتدفئ الكون ...

مضت نصف ساعة ... قبل أن يُصبح «باسم» و«أحمد» وجهًا لوجه ... كانا قد اقتربا من نهر صغير ينبع من قمة الجبل، وينساب في تعرُّجات هادئة إلى أسفل ... نظرا لبعضهما، ثم ابتسما، وألقيا بنفسيهما على العشب الأخضر الذي لا يزال مبلَّلًا بالندى، زحف «أحمد» إلى النهر، حتى أصبح على شاطئه، ثم ألقى برأسه في المياه الباردة ... شعر بالانتشاء، فرفع رأسه إلى «باسم»، وقال مداعبًا: صباح الخير أيها السيد «باسم» ...

قال «باسم» مبتسمًا: صباح الخير أيها السيد «أحمد» ...

أحمد: هل تجرب ماء النهر؟

ذهب «باسم» يغسل وجهه وشعره ... ظل «أحمد» يرقبه مبتسمًا في هدوء ... التفت «باسم» فرأى «أحمد» يرقبه، فابتسم. ومرة أخرى ألقى «أحمد» برأسه في مياه النهر، التي أصبحت دافئة بفعل حرارة الشمس، وغسل شعره ووجهه، ثم وقف في نشاط ...

قال «باسم»: إن علينا أن نحضُر اجتماع الليلة ...

أحمد: هذا ما أفكِّر فيه.

رد «باسم»: هل تشعر بالجوع؟

أحمد: نعم، غير أن معي غذاء!

نظر له «باسم» لحظة، ثم قال: من أين؟

أخرج «أحمد» بعض الحبوب الطبية، وقال: هذا غذاؤنا!

قال «باسم»: لا بأس. إنه إفطار طبي لا يضر ...

تناول «باسم» حبتين ابتلعهما مع بعض الماء. ثم سأل: والآن ما هي خطتنا؟ ...

أجاب «أحمد»: يجب أن نذهب إليهم. يمكن أن نقطع طريقنا على مهل، حتى نصل إلى هناك ...

بدأت رحلة العودة ... كانا يشعران بالنشاط، وإن كانت حرارة الشمس تشتدُّ مع مرور الوقت، وعندما أصبحت الشمس في منتصف السماء، جلسا في ظل صخرة، وأخرج «أحمد» جهاز الإرسال، وبدأ يرسل رسالةً إلى «خالد»: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س». أين أنتما؟»

انتظر الرد، غير أن جهاز الاستقبال لم يستقبل شيئًا ... علت الدهشة وجه «أحمد»، لاحظ «باسم» ذلك، وقال «أحمد»: لا بد أن شيئًا قد حدث!

باسم: ماذا؟

أحمد: إن «خالد» لا يرد!

أسرع «أحمد» إلى جهاز الإرسال، يرسل رسالةً سريعة إلى رقم «صفر»: «من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر»، «خالد» لا يرد!»

جاء رد رقم «صفر»: «أليس معكم؟»

أخبر «أحمد» رقم «صفر» بما حدث، وأجاب رقم «صفر»: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» سنعيد الاتصال بكما ...»

استغرق «أحمد» في التفكير، ثم قال لـ «باسم» وهو يستعد للنهوض: يجب أن نستمرَّ بسرعة ... فوقف «باسم» وبدآ يتقدمان ...

عند العصر، كانا يقفان على مشارف مدينة «ماهشوبيكشو»، ورأى الشياطين أسفل المدينة التي تقع على قمة جبل، مجموعة تضم حوالي مائة من الشرفات الحجرية التي بُنيت بطريقة جميلة، يبلغ طول كل منها عشرات الأمتار، وبعدها مزرعة هائلة على سفح التل، تمتد حتى الأفق، وفيما وراء الشرفات كانت هناك عجائبُ أخرى، ما زالت أجزاء منها مختفية تحت الأرض. وحول «ماهشوبيكشو» صفٌّ من الأسوار المخروطية الرائعة،

وهناك أكثر من مائة طريق صغير، والشارع الرئيسي يقود إلى بداية المدينة، ويمر بعشرات المنازل. أما الشوارع الجانبية فتتفرع على مستويات مختلفة، وبعض هذه الشوارع التي تتألف من ست أو ثماني أو عشر درجات، تؤدي إلى المنازل التي نُحتت من كتلة واحدة من الجرانيت، وهناك مجموعة ضخمة من نافورات المياه التي صنعت ببراعة لتجلب الماء من قمة الجبل ... كان المنظر رائعًا ... حتى إن «أحمد» و«باسم» وقفا صامتين يرقبان تلك المدينة الأسطورية ...

لم تكن هناك حركةٌ تُنبئ عن شيء ... لم يكن فيها إنسانٌ يمشي، وكأنها مدينة للأشباح، أو كأنها مدينة مهجورة، وكأن ما حدث بالأمس لم يكن سوى حلم من الأحلام. نظر الاثنان لبعضهما ... وقال «أحمد»: كم هي رائعة مدينة «ماهشوبيكشو» وكم تُخفي من أسرار!

لم يكد «أحمد» يُنهي جملته، حتى شاهد مجموعة من الرجال تأخذ طريقها إلى المدينة ...

نزل الاثنان عن القمة المرتفعة التي يقفان خلفها، وأخذا طريقهما إلى المدينة ... قال «أحمد»: من الضروري أن يكون الاجتماع داخل المدينة، وليس خارجها ...

ظلَّا في طريقهما في اتجاه المدينة على حذر، وعندما وقفا عند إحدى بواباتها الصخرية، قال «أحمد»: ينبغي أن نبقى هنا حتى يحل الليل ...

ظلوا يرقبون الطبيعة الرائعة حولهما ... ولم تمضِ لحظات حتى سمعا أصواتًا تمر قريبة منهما، ثم بدأت الكلمات تسمع: إنني أشمُّ رائحةً غريبةً هنا! ...

نظر «أحمد» إلى «باسم» الذي همس: «ينبغي أن ندعك أنفسنا بالعشب، إنه الرائحة الطبيعية هنا!» بسرعة ... بدآ يجمعان الأعشاب ويدعكان بها ملابسهما، ووجههما وأيديهما، ثم استقرَّا قرب البوابة ... مرت جماعةٌ أخرى، وسمعا جملة من أحدهم: من الضروري أن يظهرا! ... إننا قبضنا على الآخرين ...

نظر «باسم» إلى «أحمد» الذي قال: لقد توقعت ذلك ... يبدو أنهم قبضوا على «هدى» و«خالد» في الليل، قبل أن يغادرا الفندق!

باسم: لا بأس. وهما لا يستطيعان أن يتصرفا قبل أن يعرفا كل شيء عنا ... ولا أظن أن «خالد» أو «هدى» يمكن أن يفعلا ذلك ...

صمت الاثنان ... بدأت عتمة الليل تزحف، أصبح الليل حالكًا، ثم ظهرت المشاعل داخل المدينة. كان المنظر لا ينسى ومجموعات المشاعل الضخمة تُضيء ساحة المدينة التي كانا يريانها من خلال البوابة المفتوحة ...

كان هناك بعض الحرَّاس حول بوابة المدينة ... دار «أحمد» و«باسم» بعيدًا عن البوابة، وبدآ يبحثان عن مكان يمكن أن يدخلا من خلاله. فقد كان السور عاليًا جدًّا. قال «باسم»: طريقة الخنجر!

ابتسم «أحمد» وبدآ يتسلقان السور بطريقة الخناجر كما فعلا في السجن الحجري ... وعندما أصبحا عند قمة السور، شاهدا الساحة ممتلئةً بالرجال، ومن بينهم، عرفا «هام» و«جاكو» و«كيلاك» ...

كان من الصعب عليهما أن ينزلا الآن وسط هذه الأضواء الساطعة ... وفكَّر «أحمد» قليلًا، ثم قال: هل لديك فكرة ما؟

لم يجب «باسم» ومرت لحظات صامتة بينهما. قال «باسم» فجأة: هيا نعود. يجب أن ندخل المدينة من منطقة مظلمة ...

نزل الاثنان بسرعة، ثم أسرعا في الدوران حول السور، كانت كل الأماكن مضاءة ... قال «باسم»: ينبغي أن نشتبك مع الحراس، هذه هي الطريقة الوحيدة.

أسرعا في الجري مرةً أخرى، حتى اقتربا من بوابة مغلقة ... قال «أحمد»: قد نستطيع الدخول من هنا! ...

صعدا السور بسرعة البرق، وعندما أصبحا عند قمته، أبصرا بعض الحراس عند البوابة المغلقة ... ظلَّا يرقبان حركة الحراسة ... كان الحراس أربعة ... أخرج «أحمد» مسدَّسه ثم أطلق إبرةً مخدرةً في نفس اللحظة التي أطلق فيها «باسم» إبرة أخرى ثم اختفيا ... سقط الحارسان، وأصاب الآخرين الذعر وإن كانا قد اتجها إلى زميليهما يريان ما حدث ...

بعد لحظة أطلق الاثنان إبرتين مخدِّرتين، فسقط الحارسان الآخران بجوار زميليهما، وأسرع الشياطين بالقفز ... ورغم ارتفاع السور إلا أنهما استطاعا ذلك، وأسرعا إلى بناء ملاصق للسور، واختفيا خلفه ... سمع «أحمد» صوتًا يتحدث، فأخرج سماعة مطاطية ألصقها بجدار المبنى، فسمع الصوت واضحًا ... كان الصوت لـ «خالد» فشعر «أحمد» بالفرح، وهمس لـ «باسم» يُخبره. دقَّ «باسم» على الجدار دقات فجاءه الرد عليها ... كانت دقات «باسم» تقول: نحن هنا ... بيننا وبينكما الجدار ... وكان ردُّ «خالد»: نحن بخير ... فقط نريد الخروج!

دقَّ «باسم» مرةً أخرى: انتظر قليلًا. كيف حال «هدى»؟

دقت «هدى»: بخير. كيف حالكما أنتما؟

دقَّ «باسم»: بخير أيضًا ...

أبصر «أحمد» بعض الحرَّاس يقتربون، أشار إلى «باسم» ثم أسرعا بالاختفاء ... اقترب الحراس من البوابة المغلقة، فوجدوا المصابين، وسرت همهمةٌ بينهم، وأخذوا يتلفَّتون، ولم يكن أحد أمامهم ... دوت صَفَّارات الحراس تعلن عن وجود غُرباء في المكان، وجاء حراس كثيرون ... لكن «أحمد» و«باسم» كانا قد اختفيا تمامًا، لقد جريا مسرعين بعيدًا عن المكان، وكانت الأصوات تأتيهما فسمعا من بينها: هؤلاء شياطين! شياطين!

قال آخر: والاثنان اللذان في السجن؟

أسرع «أحمد» وباسم مبتعدَيْن ... كان هناك مبنًى ضخم، تُضيئه المشاعل وحوله الحراس ... اقتربا منه في حذر، سمعا أحد الحراس يقول لزميله: إنهم في انتظار الزعيم ... وقال آخر: أخيرًا ... عاد زعيم الإنكا ...

كان الحرَّاس يقفون حول المبنى كله، لا يفصل بين الحارس والآخر سوى أمتار قلائل، همس «أحمد»: إن السر كله يكمن في هذه القاعة الآن!

لم تمر لحظات حتى سمعا صياحًا، ثم فُتحت البوابة المغلقة، وظهر موكب مَهيب. كان هناك رجلٌ ضخم الجثة يتقدم، وقد ظهرت على وجهه علاماتُ الجِدِّ الشديد، وحوله حاشية ضخمة، كانوا يسيرون في خُطًى عسكرية. وصل الرجل إلى القاعة، فعرف «أحمد» أنه زعيم الإنكا وكانت الحاشية حوله، لا تزال تتوافد في نفس المشية العسكرية، وعرف «أحمد» من بين الحاشية «هام» و«جاكو» و«كيلاك» ...

قال «أحمد»: ينبغي أن نُخرج «خالد» و«هدى» الآن، إننا معًا يمكن أن نفعل شيئًا، وسط هذا الحشد الهائل من الحراس ...

باسم: سوف أحاول، وراقبْ أنت الموقف هنا.

أسرع «باسم» متلصصًا في اتجاه المبنى، مبتعدًا بقدر استطاعته عن الحراس، حتى أصبح قريبًا من المبنى. كان الحرس قد تغيَّر، وأصبح أكثر عددًا، وفكَّر «باسم»: إنها مسألةٌ شائكةٌ الآن ...

وقف قليلًا يرقب الموقف، ثم فجأةً، رأى «هام» على رأس مجموعة من الحرس يتقدم في اتجاه المبنى الذي يضمُّ «خالد» و«هدى» ...

وقف «هام» أمام الباب، ثم تقدَّم أحد الحراس فأدار آلة حجرية، فتح الباب على أثرها، ودخل «هام» ثم اختفى، وفجأة، بدأ الصياح، وجرى الحراس إلى داخل المبنى ...

ثم جاءت الطائرات

في نفس اللحظة، كانت «هدى» قد ظهرت تجري، وخلفها كان دخانٌ كثيفٌ يُخفي كل ما بداخل القاعة. وبعد لحظة ظهر «خالد»، وكان يسعل بشدة، وقد دمعت عيناه. أسرعت «هدى» في اتجاه «باسم» الذي صفَّر لها، ولم يكن أحد من الحراس قريبًا منه، بعد أن دخلوا جميعًا المبنى، ثم صفَّر «باسم» لـ «خالد» فجرى ناحيته.

أسرع الثلاثة بالابتعاد عن المكان، في اتجاه «أحمد»، وعندما وصلوا إلى هناك كان «أحمد» يضع سماعتين في أذنيه، وعندما رآهما أشار لهم أن يصمتوا.

كان «أحمد» يستمع إلى ما يدور في القاعة، بعد أن أطلق جهاز تنصُّت لاصق، لا يرى بسهولة ... لصقه في جدار المبنى، وبدأ يستمع لكل ما يُقال.

كان الشياطين يتابعون تعبيرات وجه «أحمد» التي كانت تدلُّ على الدهشة، فداخل القاعة كانت هناك أحداث ضخمة تدور ... استمر الحديث داخل القاعة. لقد كان هناك من يخطب. وقال «أحمد» لنفسه: لا بد أنه زعيم الإنكا ...

فجأة أشار «أحمد» للشياطين بأن يُسرعوا بالاختفاء وخلع السماعتين، ثم انطلق مُسرعًا خلف الشياطين، وترك جهاز التنصُّت اللاصق على حائط القاعة. فجأة لمع ضوء قوي، وعندما التفت الشياطين، كانت كومة هائلة من الحطب قد اشتعلت حتى أحالت المكانَ كلَّه إلى نهار.

أصبح الشياطين واضحين تمامًا، لكنهم حاولوا الاختفاء خلف أحد الأعمدة الضخمة، التي تقف كقوس النصر.

قال «باسم»: طريقة الخناجر!

قفز «أحمد» قفزة هائلة، أصبح على أثرها بجوار السور، ثم بدأ يتسلقه، وفعل «باسم» نفس الشيء، ثم تبعهما «خالد» و«هدى»، وعندما كانوا يقفزون إلى الأرض، ارتفعت صيحة: لقد قفزوا!

فُتحت البوابة التي كانت قد أُغلقت، لكن الشياطين كانوا قد اختفَوْا في قلب الليل، وظهرت المشاعل تُضيء الجبل، والسهل، غير أن الكهوف الصخرية كانت مكانًا طيبًا للاختفاء. أسرع «باسم» يقول: الحشائش. عليكم بالحشائش!

نظر «خالد» في دهشة، ولم تفعل «هدى» شيئًا. أسرع «أحمد» و«باسم» إلى فتحة الكهف، وأخذا ينتزعان الحشائش القريبة، ويلقيان بها إلى «خالد» و«هدى»، ثم أخذ «أحمد» يدعك جسمه بالحشائش فتبعه «خالد» و«هدى» وإن كانا لم يعرفا السبب. صمت الشياطين، بينما كانت أقدام كثيرة تقترب وتبتعد.

قال «أحمد»: قفوا بجوار مدخل الكهف. لا بد أن نرسل رسالة عاجلة إلى رقم «صفر».

أخرج الجهاز، بينما وقف بقية الشياطين عند باب الكهف، أرسل «أحمد» رسالة عاجلة إلى رقم «صفر»: «من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر» ... يجب الإسراع بمهاجمة «ماهشوبيكشو». هناك خطةٌ للاستيلاء على الدول المجاورة، هناك أيضًا كمياتٌ كبيرة من القنابل، والأسلحة الخطيرة، بعضها جاهز، وبعضها في طريق الإعداد. إن مملكة الإنكا القديمة تستعدُّ للعودة؛ للاستيلاء على ممتلكاتها القديمة. إن العالم قد يتعرض لحرب نووية!»

جاء رد رقم «صفر»: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» ... الرسالة في الطريق ...»

صفَّر «باسم» صَفَّارةً فهمها «أحمد»، فأخفى الجهاز بسرعة، ثم تقدَّم في اتجاههم، وخرج الشياطين من الكهف. كان الصمت يحيط بكل شيء، وإن كان الضوء يبتعد قليلًا قليلًا عن المكان، وكانت الظلمة هي الستار الوحيد ليبتعدوا عن المكان. فتقدَّموا قليلًا في اتجاه الغرب، حيث توجد مدينة «كوزكو» وحيث يمكن أن يجدوا العمران.

فجأة صاح صوت: قفوا!

كان هناك حارس ضخم يقف، وقد شهر مدفعه الرشَّاش في وجوههم. قال العملاق الضخم: إياكم أن تتحركوا، إنني أراكم جيدًا، وأنتم قد لا ترونني.

كانت الظلمة كفيلةً بأن يتصرَّف الشياطين. أخرج «أحمد» مسدسه، ثم أطلق إبرةً مخدِّرةً، ولم تمضِ لحظة حتى سمعوا صوت ارتطام جسده الضخم بالأرض فأسرعوا إليه، وحصلوا على المدفع، ثم كمَّموا فمه، وربطوا ذراعيه خلفه.

بدءوا يتقدمون في حذر. كان الصمت يجعلهم أكثر حذرًا؛ فإن أية حركة يمكن أن تكشفهم …

مضى وقتٌ طويلٌ وهم في تقدمهم، لكن فجأة انحدرت صخرة من تحت قدم «هدى» فصرخت، غير أن «باسم» الذي كان يسير خلفها أمسك بها بسرعة وهو يقول: لا بأس. يجب أن نظل على حافة الجبل، فهي خير من الطريق الرئيسي حتى لا يرانا أحد …

كانت صرخة «هدى» بداية لمتاعب جديدة، فقد رنَّت الصرخة في الفضاء الصامت، وعلتها صرخاتٌ خشنةٌ، عرف الشياطين أنهم أمام مشاكل جديدة، لكنهم كانوا على استعداد لها.

بدأت قمة الجبل تُضاء، ويقترب الضوء أكثر فأكثر، حتى كاد الشياطين يظهرون، غير أنهم غيَّروا اتجاههم إلى الخلف … بعيدًا عن الضوء الزاحف إليهم.

كانت أصوات الصرخات تتردد في جنبات الجبل، وسمعوا صوتًا يرنُّ قائلًا: هذا حارسٌ مقيَّد. لا بد أنهم قتلوه!

قال «باسم»: إننا نعود الآن إلى نفس مكاننا. هذا يعني أنهم منتشرون في كل مكان!

بدءوا ينزلون الجبل، بدلًا من السير في محاذاة قمته. كان نزولهم بطيئًا، خوفًا من الوقوع من أعلاه … خصوصًا وأنه ينحدر انحدارًا مستقيمًا. ظلوا ينزلون غير أن الأصوات كانت تقترب منهم، حتى أصبحت الأصوات فوق قمة الجبل تمامًا. صاح صوت: ها هم. إنهم ينزلون الجبل!

أسرع الحراس في النزول، وكمدربين على حياة الجبال كان نزولهم أسرع من نزول الشياطين، قال «باسم»: تقدَّموا أنتم …

رفع مدفعه الرشاش، ثم أطلقه كالمطر؛ فتهاوى الحراس الواحد بعد الآخر، وصاح الآخرون: إنهم عصابة ضخمة!

ظلَّ «باسم» يطلق الرشَّاش، ويتهاوى الحراس، في نفس الوقت الذي ردَّ فيه آخرون بمدافعهم الرشاشة، كان يفيد «باسم» أنه يختفي خلف صخرة، وكان الحراس يتقدَّمون.

فجأة، رنَّت طلقة عند قدمي «هدى» فألقت بنفسها بعيدًا، غير أنها تهاوت، فجرى «أحمد» إليها، فقد كان من الممكن أن تظل تتهاوى حتى قاع الجبل. غير أن «هدى» استطاعت أن تمسك بصخرة، فأنقذتها. قال «أحمد»: هل أصبتِ بشيء؟

هدى: لا يهم. المسألة ليست خطرة …

ساعدها «أحمد» على القيام، واستمروا في السير. في تلك اللحظة، كان «باسم» قد أفرغ كل ما في الرشَّاش من طلقات، وبدأ يستخدم مسدسه، لكنه لم يكن يكفي أمام سيل

الطلقات ... ولم يكن أمامه إلا أن يجريَ في خطٍّ متعرج، حتى لا يُصاب. وبرغم كثرة الطلقات التي كانت تئزُّ حوله، وعند قدميه، وفوق رأسه، إلا أنه لم يتوقف.

كان بقية الشياطين قد اقتربوا من السهل. قال «أحمد»: يجب أن نغطِّيَ انسحاب «باسم».

وقفوا، وأخرجوا مسدساتهم، ثم بدءوا إطلاقها ... ثم أخرج «أحمد» قنبلة دخان، ثم قذف بها قذفةً قويةً، ارتفعت ارتفاعًا كبيرًا، ثم انفجرت عندما اصطدمت بالجبل فأحالته إلى ستار كثيف من الدخان. وقد أفاد الدخان «باسم» كثيرًا فقد أسرع في النزول بعد أن اطمأنَّ إلى أن أحدًا من الحراس لن يراه.

استمر تقدم الشياطين ... وفي كل مرحلة، كان «أحمد» يُلقي قنبلة دخان لينسحبوا تحت ستارها. لكن فجأة، ظهر عند السفح مجموعة أخرى من الحراس، وأصبح واضحًا أن الشياطين قد وقعوا في فم «الكماشة». قال «أحمد» بعد أن انضم إليهم «باسم»: يجب أن نلقيَ قنابل مسيلة للدموع، وقنابل الدخان في وقت واحد. إن هذا قد يُنقذنا، وإلا وقعنا في أيديهم!

أخرج الشياطين قنابل الدموع، وقنابل الدخان، ومعًا ... كانوا يقذفون أربعة قنابل دموع، ثم أربعة قنابل دخان، وتحوَّل الجبل إلى كتلة من الدخان الأبيض ... وبدأت أصوات السعال تصل إليهم ...

تقدَّموا بمحاذاة قمة الجبل، دون أن ينزلوا، فقد أصبح الدخان ساترًا بينهم وبين الحراس الذين يسعلون أسفل الجبل ... كانوا يشعرون بالإجهاد الشديد، لكن تلك اللحظة بالذات لم تكن تحتاج إلَّا للمجهود. وهكذا ظلُّوا في تقدمهم.

فجأة، كانت السماء تُمطر رَصاصًا. لقد كان الرَّصاص ينزل من كل جانب، غير أن صخرة وحيدة ضخمة أنقذتهم في تلك اللحظة، فقد انبطحوا تحتها، ولم يخفت صوت الطلقات لحظة واحدة، لقد ظلت الطلقات تدوِّي حولهم، وهم يرقدون، وقد جعلوا وجوههم في الأرض، خوفًا من أن تُغير طلقةٌ مسارها إذا اصطدمت بصخرة، فتصيب أحدًا منهم ...

لكن الوقت لم يَطُل، فقد وصل إلى آذانهم صوت طائرات قادمة من الغرب ... ثم فجأةً، تحوَّل الجبل إلى نهار، لقد أطلقت الطائرات قذائف مضيئة، ثم انفجرت قنبلة دوَّى صداها في أنحاء «ماهشوبيكشو».

عندما انتهى صدى انفجار القنبلة، كانت الطائرات تبتعد قليلًا، وخيَّم صمت سريع، انقطع مرة أخرى، فقد عادت الطائرات من جديد ...

شعر «أحمد» بحرارة في جيبه الداخلي. عرف أن هناك رسالة من رقم «صفر»، فأخرج الجهاز، وجاءته الرسالة: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» لقد تمت مهمتكم بنجاح. أهنئكم.»

نظر «أحمد» إلى الشياطين، وبلَّغهم الرسالة، فجلسوا يرقبون الطائرات وهي تؤدِّي مهمتها الأخيرة ...

هنـــداوي